

المحاضرة السادسة : النظريات البنائية – الوظيفية

النظرية البنائية الوظيفية :

1. مفهوم البنيوية الوظيفية:

أحيانا نكتفي باستعمال اللفظ " الوظيفية " للدلالة على النظرية، لكن من أين أتت التسمية بالبنيوية الوظيفية

لقد أسمى دوركايم المجتمع بالحقائق الاجتماعية وعندما ننظر للمجتمع بهذا المحتوى فغنا ننظر إلى البنى الاجتماعية بما فيها المؤسسات والبنى الطبقية والنوع الديمغرافي للسكان باعتبار المجتمع المدني فلو نظرنا إلى البنية الاسرية " أب، أم، أولاد إلخ " إحدى بنى المجتمع وتساؤلنا: ماهية وظيفة هذه الأسرة بالنسبة لاستقرار المجتمع؟

سنلاحظ أننا بصدد مواجهة عبارة **البنيوية الوظيفية** التي تفسر لنا الوظائف التي تؤديها البنى في المجتمع :

البنيوية الوظيفية هي :

رؤية سوسيولوجية ترمي إلى تحليل ودراسة البنى المجتمع من ناحية الوظائف التي تقوم بها هذه البنى الاجتماعية من ناحية أخرى.

❖ يعني ان البنى لم توجد بطريقة عشوائية لأن لها وظائف سوف تقوم بتحقيقها وبهذا المعنى فإن للبنى الاجتماعية حتمية لا مفر لها منها.

هكذا فكل بنية اجتماعية وظيفية تؤديها بما ان كل شيء محكم فسوف تسيير الأمور على ما يرام في المجتمع بعد انتظار طويل للصراعات والثورات.

2. أهم المفاهيم المتداولة في البنائية الوظيفية :

المجتمع: يتصور الاتجاه البنائي الوظيفي أن المجتمع نسق من الافراد المحددة المنظمة ويتألف هذا النسق من مجموعة من النظريات والابعاد المترابطة بنائيا والمتساندة وظيفيا

التوازن الاجتماعي: هدفه مساعدة المجتمع على أداء وظائفه وبقائه واستمراره يتحقق بالانسجام بين مكونات البناء والتكامل بين الوظائف الأساسية يحيطه جميعا بارتباط القيم والأفكار التي يرسمها المجتمع بأفراده وجماعاته

النسق الاجتماعي: هو عبارة عن علاقات مترابطة ومتساندة بين الافراد. والذي يتميز بخصائص أهمها:

التحديد: أي إمكانية تحديد العناصر الداخلية والمكونة للنسق

الترابط: أي جميع عناصر النسق الاجتماعي مترابطة ببعضها البعض أي كل جزء له صلة بالأجزاء الأخرى ويعتمد عليها **باين:** بمعنى ان النسق الاجتماعي هو نسق متوازن او يتجه باستمرار نحو التوازن.

الوظيفة الاجتماعية: هي نتيجة موضوعية لظاهرة اجتماعية يلمسها الفرد او الجماعة كما انها الطريقة التي يعمل بها المجتمع ويستمر في البقاء.

البناء الاجتماعي: يستخدم للإشارة إلى نوع من الترتيب بين مجموعة نظم تعتمد على بعضها البعض وتعتبر وحدات البناء الاجتماعي هي ذاتها بناءات. والافتراض الأساسي هنا هو التكامل او البقاء الكل يتوقف على علاقات بين الأجزاء واداءها لوظائفها .

3. الخلفية التاريخية وأهم رواد البنائية الوظيفية :

ظهر مصطلح الوظيفية في الثلاثينات من القرن العشرين عند علماء الانثروبوجيا أمثال راد كليف براون ومانلي لوفيسكي وفي الاربعينيات درس هذان العلمان في جامعة شيكاغو مما ادي إلى انتشار مصطلح الانثروبوجيا الوظيفية في الوم أ وفيما بعد مثلت أعمال العالمان بارسونز ومارتون البنيوية الوظيفية في أعماق ما كتب حول النظرية التي تنظر إلى المجتمع باعتباره نظاما نسقيا يتمتع بالكثير من انسجام بين مكوناته البنيوية

إن النظرية البنائية الوظيفية كنظرية سوسولوجية تعتبر المجتمع مجموعة من التنظيمات المترتبة التي يساهم كل منها في الاستقرار الاجتماعي للمجتمع هذا يعني الوظيفية تركز أكثر ما يكون التركيز على التوازن الاجتماعي للمجتمع وليس على التغير الاجتماعي فالعناصر المكونة للمجتمع تدرس من حيث الوظيفة الخاصة والمحددة التي تقدمها للحفاظ على ترابط النسق الاجتماعي لهذا المجتمع او ذاك.

اما النسق الاجتماعي فهو عبارة عن مجموعة من العناصر المترابطة ببعضها البعض وأي خلل في أحدها لا بد وان يؤثر في باقي العناصر وبدورهم يقول الوظيفيون ان النسق الاجتماعي يمكن ان يحافظ على الاستقرار طالما ان كل عنصر يقوم بوظيفته .

أخيرا يمكن القول ان كونت ودور كايم وسبينسر كانوا اهم ثلاث رواد اجتماعيين أثروا تأثيرا كبيرا على النظرية البنائية الوظيفية .

4. إسهامات دور كايم :

تعريف الوظيفية عند دور كايم:

تتمثل في وظيفة العناصر الاجتماعية في مساهماتها في الحفاظ على مجرى الحياة في المجتمع. فالثقافة هي التي تمثل جانبا من العناصر الاجتماعية تشمل اللغة العادات التقاليد القيم العقائد الدينية والقيم الثقافية وكل هذه العناصر تمثل مؤسسات اجتماعية لها وظيفتها ولا يمكن

الاستغناء عنها لأهميتها في مجرى الحياة الاجتماعية ولكونها تشكل العناصر البنيوية في المجتمع ومن ملامح النظرية الوظيفية انها تنظر الى المجتمع نسق اجتماعي أي وحدات اجتماعية مختلفة نسبيا تساهم في وظائف مختلفة لدفع المجتمع وتقدمه

وحسب دوركايم فإن الانسجام من ملامح الرؤية الوظيفية لا بل انها تنظر الى المجتمع على أساس انه مستقر وليس هناك ما يعكر صفوه في صراعات ونزاعات بما ان اجزائه تتكامل في القصد والهدف

بعض إسهاماته في تأسيس البنائية الوظيفية:

ان اهتمام دوركايم بالواقع الاجتماعية جعله يهتم أيضا بالأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي من جهة وعلاقة الأجزاء ببعضها البعض ومن ثم تأثيرها على المجتمع. ففي حديثه عن الوقائع الاجتماعية وجد نفسه مضطر لإعطائها أهمية كونها تندرج في إطار في بنى ومؤسسات سعى دور كايم إلى البحث عنها

- اعتنى دوركايم كثيرا بالبنى والوظائف وعلاقتها بحاجيات المجتمع، وهذا يعني اهتمامه بالبنية والوظيفة كعنصرين هامين في التحليل السوسيولوجي
- من أهم الأمور التي قام بها دور كايم تميزه بين مفهومين هما

"السبب الاجتماعي والوظيفة الاجتماعية " إذ أن دراسة "السبب الاجتماعي " يعني الاهتمام بمبررات وجود البنية اما دراسة "الوظيفة الاجتماعية " فستعني اهتمام بحاجيات المجتمع الكبيرة وكيفية تلبيتها من طرف بنية معينة

5. اسهامات مرتون :

تعريف مرتون للوظيفية: هو أحد منظري النظرية الوظيفية فقد عرفها بأنها الإجراءات البيولوجية او الاجتماعية التي تساعد على الابقاء على النسق وعلى كيفية توافقه ومدى قابليته للملاحظة وقد طرح من الناحية المنهجية ثلاث افتراضيات أساسية تتمثل فيما يلي:

- افتراض الواحد للوظيفة في المجتمع: يتضمن هذا الافتراض أن المعتقدات المعينة او الأساليب الموجودة تعتبر وظيفة بالنسبة للنسق الثقافي ككل لكن المشكلة التي تعترض هذا الافتراض هي عدم عموميته على المجتمعات الأكثر تعقيدا بالنسبة إلا انه يمكن ان لا تكون بعض العناصر وظيفية للنسق الاجتماعي ككل وإنما تكون وظيفتها جزئية في المجتمعات الصناعية
- افتراض الوظيفة الشاملة: يعني هذا ان كل عنصر يؤدي وظيفة إيجابية داخل النسق لكن ما يعترض هذا الافتراض هو انه ليس كل العناصر داخل النسق الكلي تؤدي وظيفة إيجابية بل ربما يكون بعضها معيقا وظيفيا فهي تولد نتائج غير وظيفية وتعمل في اتجاه معاكس للوظائف الإيجابية للنسق الكلي

- افتراض الضرورة الضرورية: يتضمن هذا الافتراض فكرة المستلزمات الوظيفية والتي تعني ان هناك ظائف أساسية يجب تحقيقها من اجل استمرار النسق كما يتضمن فكرة الاشكال الاجتماعية والنظم الأساسية والأساليب التي يتم عبرها إنجاز الوظائف

اقترح روبيرت مارتن بإدخال بعض التعديلات على النظرية الوظيفية ولكنه بدأ من نفس المسلمات النظرية والأيدولوجية التي يبدأ بها كل أصحاب الاتجاه الوظيفي وأصحاب الاتجاه العضوي ومن قبلهم، ومن اهم هذه المسلمات أن البناء الاجتماعي في حالة ثبات وان هناك تكاملا بين عناصر هذا البناء وان هناك إجماعا عاما بين المسلمات، أعضاء المجتمع على قيم معينة وقد استمد ميرتون مسلماته الأساسية عن الوظيفية من علماء الأنثروبولوجيا وخاصة راد كليف براون و مالفيسكي

-العناصر الاجتماعية والثقافية قد تكون وظيفية بالنسبة لمجتمعات معينة وغير وظيفية بالنسبة لمجتمعات غيرها وان نفس العنصر قد تكون له وظائف متعددة ونفس الوظائف يمكن تحقيقها بواسطة عناصر مختلفة .

مثال: الملابس التي يمكن أن تؤدي عدة وظائف مختلفة فهي تساعد على الوقاية من الطقس او تكسب الفرد مكانة اجتماعية معينة او يكون لها دور تحديد مدى جاذبيته الشخصية ومعني ذلك ان هناك تنوعا في الوسائل التي يمكن تحقيقها هدفا وظيفيا معينة وقد استخدم مارتن مفهوم البدائل الوظيفية

يجب ان يحدد التحليل الوظيفي للوحدات الاجتماعية التي تستخدمها العناصر الاجتماعية او الثقافية ذلك ان بعض العناصر قد تكون ذات وظائف متعددة وقد تكون بعض نتائجها ضارة وظيفية.

1. ميرتون والوظيفية الجديدة :

يرى ميرتون أن النظرية يجب أن ترتبط بالواقع الامبريقي ، ليس فقط في بنائها، وإنما في إمكانية التحقق من صحتها ودقتها .وقد رأى أن هذه مشكلة النظريات الشاملة التأملية .فمثل هذا المستوى من التنظير سابق لأوانه وذلك لعدم توفير الدراسات الامبريقية الكافية من جهة، وعد وجود تراكم معرفي كاف في علم الاجتماع من جهة أخرى كما رأى أن الدراسات الإمبريقية المحدودة والتي تتناول علاقات متغيرة بالآخر او اكثر لا تعب عن الواقع بدقة كونها

تهمل إرتباطات أخرى هامة ، وكون نتائجها محدودة يصعب ربط التعليمات فيها بمفاهيم تجريدية أعلى وبهذا يصعب أن تساهم في بناء مستويات نظرية أشمل

البنائية الوظيفية عند بارسونز:

أ- هو كل أنواع السلوك الإنساني التي تحركها المعاني الثقافية والقيم والمعايير في بيئة الفاعل وهي معاني يدركها ويستند عليها في تحريك وتوجيه سلوكه.

يشير المفهوم الفعل الاجتماعي عند بارسونز إلى كل أشكال السلوك البشري التي تحركها وتواجهها المعاني الموجودة عند الفاعل ويدمجها في ذاته (1)

والفاعل ليس شرط أن يكون فرد أو إنما قد يكون جماعة أو حتى مجتمعا فهو بذلك أي كائن يمكن أن يفسر سلوكه في ضوء المعاني التي يشتمل عليها فعله.

يؤكد بارسونز على أن التحليل الفعل الاجتماعي يجب أن يتم في إطار ثنائية الفعل والموفق أي مراعات البيئة الخارجية وذاتية الفاعل

ب- مكونات الفعل الاجتماعي:

- 1- الفعل: ويتمثل بالقائم بالفعل وهو كيان فردي أو جماعي
 - 2- الموقف: ويمثل المحيط الذي يقوم فيه الفاعل بفعله ويجتمع على الموضوعات (الفيزيائية) التي تربط بها الفاعل
 - 3- الرمز: هي تلك الوسائل التي ترتبط من خلالها الفاعل بالعناصر المختلفة داخل الموفق من إمكانيات يختارها لتحقيق أهدافه
 - 4- القواعد والمعايير والقيم: وهي التي تتحكم في توجيه الفاعل داخل الموفق
- إذ أي تصرف يقوم به الفاعل بوعي منه أي له هدف وتوفرت فيه حل الشروط السابقة فهو فعل اجتماعي أما إذا اختلف الشرط (المكون) من شروط الفعل فهو سلوك.

2. النسق الاجتماعي عند بارسونز

تحول بارسونز في بحثه للنسق الاجتماعي من التركيز على الفعل الاجتماعي والفاعل، إلى التركيز على الدور والمكانة، واعتبارهما أساس تحليل النسق الاجتماعي ويتضمن هذا التحول تحولا من الاهتمام بالعوامل الفردية حيث يتضمن الدور والمكانة خصائص تحدد اجتماعيا، وبهذا فإن اختيارات الفاعل تصبح مقيدة بما يرتبط بهما من توقعات، مما يؤدي إلى تدني حرية الاختيار الفردي، ويقيدها بما هو اجتماعي ثقافي وبهذا تحول من التركيز على البعد الذاتي إلى البعد الموضوعي

1 - احسان محمد الحسن، النظريات الاجتماعية المتقدمة، ط 2 ، القاهرة 2010، ص 65.

الوظيفية الجديدة : وضع هذا المصطلح ليشير إلى الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في إعادة بناء الوظيفية على المستويين النظري والامبريقي . وقد جاءت هذه المحاولات الجديدة نتيجة تطور المعرفة في علم الاجتماع والاستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية

يرى الكساندر أن الأعمال العلمية تمثل متصلا تحده من جهة النظريات الشاملة التأملية والميتافيزيقية ، يقابلها من الجهة الأخرى الأعمال الميدانية الامبريقية

يتطلب تطور نظرية اجتماعية علمية الجمع بين الجانبين النظري والامبريقي إلى جانب ضرورة الجمع بين المستويات المختلفة في البناء الاجتماعي بما يتطلب معالجة المستوى الفردي والجماعي والعلاقات بين البناءات والنظم لتحقيق نظرية مكتملة

اما الجانب الاخر من التجديد فقد اعتمد توليف اتجاهات الصراع والاتجاهات الوظيفية بإفترض علاقات التكامل والصراع، والاستمرار بتناول البعد الذاتي والموضوعي كأوجه للحقيقة الواقع الاجتماعي ، إن أهمية التجديد في الوظيفية تتمثل في إعادة ربط المستوى النظري بنتائج الدراسات الإمبريقية .